ما في علاك لغير المجد ترديدُ ... ولا لغير المعالي منه تجديدُ
والعيد ما عاد للاقوام في سنة ... وانه كل يوم منك موجود
اذا جلست على عرش فقد جلست ... فيه العلى واستوى من فوقه الجود
عرش له الارض اركان موطدة ... يزيدها من اله العرش توطيد
تحلو بمدحك اقوال نكررها ... كأنما عصرتهن العناقيد
والشعر يحسن في شيئين رونقه ... عبد الحميد وملك منه محمود
ملك تكفل فيه الله من قدم ... يحوطه منه تمكين وتأييد
حتى بدا تحسد الدنيا جلالته ... وانه الفضل بين الناس محسود
فدام عمرك للايام يلبسها ... من المحاسن ما لا يلبس الجيد
ودام عيدك للدنيا تقول له ... عيد باحسن حال عدت يا عيد

عادات الكتاب

تختلف عقول الكتاب في حالاتهم وعاداتهم مثل اختلاف النبت في الارض ولو كان من نوع واحد حتى انك لا تكاد تجد كاتباً او شاعراً يشبه زميله في حالة من حالاته او عادة من عاداته . والغريب ان صناعة الانشاء على كونها واحدة من جهة قياسها الى العقل فلا تكاد تجد كاتباً يسير في انشائه على عادة كاتب بل ترى كل واحد منهم مخصوصاً بحالة ملازماً لاعتقاد او عادة حتى يعجب الواحد منهم كيف يستطيع زميله ان ينشئ مقالاً طويلا

او يخط حرفاً واحداً وهو بحالة كذا مع انه هو لا يستطيع ان يجيل قلماً لو اتفق وقوعه في مثل تلك الحالة . ولقد روي عن كتاب الافرنج شيء كثير من هذا القبيل لا بأس بالاشارة اليه للدلالة على مبلغ التفاوت في الطباع والعادات مع الصنعة الواحدة

فلقد ذكر عن احدهم انه لم يكن يستطيع الكتابة الا في الليل حتى انه لو كلف انشاء اوجز عبارة في النهار لتعذر عليه ذلك وامتنع كما انه لم تكن تحلو له الكتابة الا بحبر ملوّن فاذا اتفق ان عرض له حبر اسود كان ذلك مضايقة له وقد يضطرب انشاؤه ويختل من هذا الفرق الزهيد كانما قوة انشائه صادرة من الحبر والظلام فاذا خلا منهما لم يكن في شيء مما كان

ولقد اولع كثيرون من المنشئين والشعراء بالخمر وعدوها ام الانشاء وذلك لما يجدونه في شربها من العون على اتساع المدارك والآراء وزيادة التنبيه للعواطف الا ان احد الكتاب لم يكن يستطيع ان يخط حرفاً واحداً ولو كان في معدته درهم واحد من الخمر وليس ذلك لانه لم يكن يذوقها او يألفها بل لطبع غريب اصابه وهو عدم امكان اجتماع الخمر والادراك في نفسه على حين كثيرين من الذين لا يعرفون الخمر يستخدمونها استخداماً لارهاف قرائحهم وتنبيه مداركهم حين الانشاء او لمطاوعة السنتهم لهم حين الخطابة

ولقد نعد الكاتب منا مقصراً في فنه حين يخط ويمحو ما كتب وذلك لما في عمله من الدلالة على ضعف ملكته الانشائية وقلة اقتداره على الاتيان بالجيد الصحيح في اول الامر ولكن روي عن كاتب مشهور ان هذه العادة كانت ملازمة له على الدوام حتى انه لم يكن يكتب عبارة واحدة ويتركها دون ان يمحو منها شيئاً او يستبدل كلمة بكلمة كما انه لم يكن يصدر عنه شيء

بعد نهاية التنقيح الا وهو مملوء من المحو والمراجعة

ومما يعده الناس دليلاً على وفور عقل الكاتب وحضور ذهنه حين يريد انه يستطيع الانشاء في كل حالة تعرض له ولو كثر ما كثر حوله من الكلام واختلف من الاصوات ولكن ذكر عن احد المنشئين انه كان يتدفق تدفق السيل حين سكونه وسكون ما حوله ولكنه حين يشعر باقل صوت ينقطع قلمه ويستد ذهنه حتى لا يستطيع ان يهيئ عبارة او يوجد معنى وروي مثل ذلك عن غيره من الشعراء المجيدين حتى قيل عنه انه كان يكسو جدران حجرته بالفلين الثخين حتى لا يصل اليه صوت ولكن روي عن غيره انه كان على عكس ذلك تماماً فكان يكتب ولا يبالي بما يجول ويقال حوله ولعله يكون ساعتئذ غير شاعر بشيء فيكون كانه بمعزل عن سواه

ولقد يسهل على الكثيرين من الكتاب ايجاد موضوع يكتبون فيه ولكن يصعب عليهم ان يكتبوه ويهيئوا صورته الا انه ذكر عن احدهم ان ايجاد ما يكتب كان اشد شيء عليه كما كانت الكتابة من اسهل ما يجري على خاطره ولهذا قيل عنه انه قضى اثني عشر عاماً في مصنف له انفق منها عشرة اعوام وهو يفتكر في ايجاد الموضوع وتهيئته وقضى العامين الآخرين في كتابته الا ان هذا الشأن شائع كثيراً بين الكتاب في كل مكان وكثيراً ما نرى الواحد منهم يقضي الساعة والساعتين وهو يناجي ضميره ليوحي اليه بما يكتب حتى اذا حضر المعنى لا ينقطع له قلم عن الجري ولا يتوقف له خاطر عن صوغ العبارة

وقد روي عن الكتاب والشعراء احوال وعادات كثيرة يطول شرحها كما ان اكثرها يدل على بعض الجنون في اصحابها لغرابتها ومباينتها

لاقدار عقولهم ولكن يظهر ان هذا الجنون فيهم قد كان لا بد منه لهم لانه اضعف من مداركهم جانباً ليشتد بضعفه جانب ولهذا ندر ان يكون في الدنيا ذو عقل كبير الا وله حالات وافعال لا تصدر عن مجانين البيمارستان. وقد افضنا في هذا الشأن بمقالة قديمة في هذه المجلة عنوانها « جنون العلماء » فلا حاجة الى العودة اليه

اما كتابنا وشعراؤنا المتقدمون فلا شك ان قد كانت لهم مثل هذه الاخلاق والعادات ولكننا لم نر عنهم فصلاً خاصاً جامعاً لطرائفهم وعاداتهم في انشائهم التي كانوا ولا ريب مختلفين فيها اختلاف زملائهم الافرنج ولكن الذي ذكر عن الكاتب الذي كان يمحو اكثر ما كتب يشبه الذي يروى عن زهير بن ابي سلمى الشاعر صاحب القصائد التي تسمى بالحوليات لكثرة مراجعته لها حتى لم يكن ينتهي من قصيدة منها الا بعد عام فان هذا الشاعر على الارجح قد كان جارياً على هذه الطريقة من كثرة المراجعة لما يكتب والمحو لما ينظم وهي طريقة الباحثين المحققين الذين لا يفتتنون باقوالهم بل لهم من نفوسهم على ما يكتبون رقباء نقادون ولذلك تبدو اقوالهم منخلة صافية سليمة من كل عيب . ولقد كان اكثر كتابنا الحاضرين يسيرون على هذه الخطة او يتعودونها تعوداً ولكن من يمهلهم ليعتادوا المهل ومن منهم غير خادم مضطر للتلبية في الحين على عجل

اما حضور الخاطر حين اشتداد الاصوات فيظهر انها كانت من الصفات الملازمة لكتاب العرب وشعرائهم لانهم كانوا يرتجلون القول ارتجالاً حين يطلب ذلك منهم وندر فيهم كثيراً من كان يطلب منه قول شيء فيطلب الخلوة ليستجمع قوى عقله بل كانوا يقولون وينظمون في وسط المجلس بين حديث

الجمع واذا صدقت الرواية عن مناظرة الهمذاني والخوارزمي وانشائهما تلك الرسائل والقصائد في الجلسة التي كانا فيها كانت من اجل الدلائل على وفور عقليهما وحضور خاطريهما حيث يريدان . ولكن الرواية عن المتنبي تكون اصدق على الارجح فانه كان ينظم القصائد والمقطعات الكثيرة في حضرة جلسائه من الامراء والملوك فكانت تأتي بجملة نظمه حين انفراده بل كان كثيراً ما ينظم وهو سكران في مجلس سيف الدولة وسواه فلا يخطئ له قصد ولا تضطرب له حالة

وقد روي عن العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي انه كان نادرة في هذه الاحوال فانهم حدثوا عنه ان خاطره لم يكن يضطرب اقل اضطراب مهما كثرت حوله الاحاديث واشتدت الاصوات بل كان يكتب وينظم كانه بمعزل عن الوجود وليس من حاضر لديه غير فكره يوجهه الى حيث يريد كما انه لم يكن يمحو شيئاً مما يكتب بالاطلاق بل كان المعنى والقالب اللفظي يحضران في حين واحد على وفق ما ينبغي فلا يضطر للمحو او تفضيل صورة على صورة حتى لقد رووا عنه انه انشأ مقامة تامة من مقامات مجمع البحرين وهو مسافر من بيروت الى قرية في لبنان دون ان يكتب منها شيئاً في الطريق فلما وصل الى القرية كتبها كلها كما تمثلت له

اما كتابنا الحاضرون فلا ندري لاحد منهم خلقاً او عادة في انشائه لان كل عادة تصلح لهم وكل حالة توافقهم وذلك لان اكثرهم يكتبون مضطرين غير مختارين مما يكتبون شيئاً فقد ينشئ الواحد منهم مقالة حين مسيره في الطريق ويكتبها حين تجوله في النزهة وكثيرين منهم لا تحضرهم المعاني الاوهم على اسرتهم لان مشاقهم في النهار تحول بينهم وبين صفاء اذهانهم

ولو رجعنا الى كل مؤلف كتبه منشئونا او قصيدة نظمها شعراؤنا لما وجدنا واحدة منها أنشئت في مكان واحد او على كيفية واحدة مع ان اكثر كتابنا وشعرائنا الحاضرين يعدون في درجات عالية من فنون المشتغلين بها . ولو كانت بلادنا كبلاد الافرنج لرأينا لكل واحد منهم قصراً وعرفنا له خلقاً وعادة وكنا ننقل الان عنهم ما يغنينا عن النقل لاحاديث سواهم ولكنهم الان رماة في حرب الآداب العربية وقد قدموا اول الصف وربما انتصر اعقابهم لان تقليدنا للافرنج لم يخطئ بحالة من الحالات فلعل نجاحهم يكون من جملة التقليد

حيرة الاغنياء

اذا كان الفقر الشديد مما يحير الانسان ويضيق عليه مذاهبه حتى لقد يصيبه بالكسل المفرط من شدة حيرته وضيق اخلاقه او يمنيه بالمخاطرة والتعب الشاق لتحصيل قوته وكفاية يومه فكذلك الغنى المفرط قد صار يعد مثله لان عظم الثروة وتناهي الاقتدار مما يصاب صاحبهما بالحيرة حتى لا يهتدي في حياته الى سبيل بل قد يصيبه بالكسل في طلب الملذات حتى لا يعود يستطيع ان يوجه همته الى شيء منها او يصيبه بالجهد الشاق في سبيل التماسها واختراعها وبذلك تكون شدة الغنى مشابهة لشدة الفقر لان كلتيهما قد ابعدتا صاحبيهما عن الراحة